

الكتابة اللسانية العربية الحديثة: من تحديد العوائق و الاختلالات إلى تقويم المسار

د. عبد السلام عابي، 1*،

1 جامعة باتنة، (الجزائر) abdeslam.abi@univ-batna.dz

تاريخ النشر 2023/03/31

تاريخ المراجعة: 2023/01/30

تاريخ الإيداع: 2023/01/01 م

الملخص:

يروم هذا المقال تتبع مسار الكتابة اللسانية العربية الحديثة والمعاصرة، و الوقوف على مكامن الخلل فيها من بدايتها أو ما يعرف بالكتابة اللسانية التمهيدية إلى واقعها الراهن، محاولاً رصد أهم اختلالاتها ومعوقات الموضوعية والمنهجية، ومقدماً حلولاً نراها كفيلة بتحقيق النهوض المنشود بالكتابة اللسانية العربية إلى مستوى يؤهلها لأن تتموقع ضمن المنظومة اللسانية العالمية.

الكلمات المفتاحية: الكتابة اللسانية العربية، الكتابة النقدية، عوائق الكتابة اللسانية العربية، سوسير، جيل الرواد.

Abstract: This article attempts to track the modern and contemporary Arabic contributions to linguistics, as well as to spot the kinks of these contributions from the introductory writings to the status quo. This article also attempts to monitor the unbiased, systematic flaws and barriers of these contributions, in view to provide solutions that we find fit to achieve the desired advancement in the Arabic contributions to linguistics. This desired advancement shall position these contributions in the Global Language System.

Keywords: Arabic contributions to linguistics, critical writing, flaws of the Arabic contributions to linguistics, Saussure, pioneers..

تقديم: انخرط (فيرديناند دي سوسير/Ferdinand de Saussure) في مسار علمي جديد تبني مفرزات

المنهج التجريبي (Experimental method) المستعمل في العلوم التجريبية، وهو منهج يقوم على الوصف والملاحظة والتحليل والتجربة ليستكنه النظام الذي يحكم الظواهر الطبيعية، وقد كان لهذا الانخراط الأثر البالغ في إخضاع اللغات الطبيعية للمنهج نفسه مُستنداً في ذلك على ادعاء مُفاده أن اللغة الطبيعية ظاهرة كأي ظاهرة طبيعية مادية، قابلة للدراسة التجريبية بالشروط العلمية الصارمة. أدى هذا التوجه الجديد إلى نشأة اللسانيات البنيوية التي شكلت لحظة فارقة في تاريخ الدرس اللساني؛ إذ انتقل الدرس اللساني من التاريخية منهجا والأسر اللسانية موضوعاً إلى الدراسة الوصفية الآنية للغات البشرية، دراسة تخضع فيه اللغة الطبيعية إلى التحليل العلمي – كما نص على ذلك سوسير نفسه- ليتوصل بعدها إلى النظام الذي تتكى عليه هذه اللغة، ووسيلة ذلك وصف وتحليل المستويات اللسانية المشكلة لنظام اللغة من المستوى

الصوتي إلى المستوى التداولي.

* المؤلف المراسل

وقد رافق هذا التحول انفتاح العالم بأسره على هذه الثورة، مرجعها في ذلك محاضرات دي سوسير التي جمعها تلاميذه في كتاب طار كل مطار، وبلغ الآفاق، ترجمة، وتوسيعاً، وتعليقاً، وتطبيقاً. ولم يكن العالم العربي بمنأى عن هذه الانفتاح؛ ففي سياق تحول الأنظار في العالم العربي نحو أوروبا إبان الثورة العلمية (Scientific Revolution) الكبيرة التي شهدتها أوروبا حدث أن تلقى اللسانيون العرب الأوائل - أو ما يعرف بجيل الرواد - هذا الدرس باهتمام كبير، وما لبث أن تحول هذا التلقي إلى دراسات شتى حاول أصحابها تقريب لسانيات سوسير للقارئ العربي المختص بخاصة والعادي بعامة، كما ظهرت كتابات عديدة تغيا أصحابها مفارقة مستوى التقريب إلى مستوى تطبيق آليات التحليل اللساني البنيوي على اللغة العربية بمستوياتها المعروفة، وتولى فريق آخر محاولة قراءة - أو إعادة قراءة - النتاج التراثي في ضوء مفرزات الدرس اللساني الحديث.

غير أن هذه الممارسة قد عرفت جملة من الاختلالات ميزت بواكير الكتابة اللسانية العربية وهي اختلالات مبررة بحكم جدة الطرح وصعوبة فهم الجهاز المفاهيمي والمصطلحي للبحث اللساني في ثوبه الجديد. ومع أن التبرير السابق يعطي العذر للكتابات اللسانية الأولى إلا أن استمرار هذه الاختلالات في جل الكتابات اللسانية التي أتت بعد خصيصاً ما تعلق منها بالمنهج والموضوع والغاية، أصبح ظاهرة مقلقة، بسبب دوران أغلب الكتابات اللسانية العربية في حلقة مفرغة نشأ عنها توالد الكتابات اللسانية بشكل مكرور ومتشابه، ما دفع ببعض اللسانيين العرب إلى تولي مهمة تناول تلك الكتابات بالدرس والتحليل والنقد رجاء بيان الاختلالات وتحديد الأخطاء التي يُفترض أن اللسانيين العرب قد وقعوا فيها.

لقد فتحت هذه الممارسة النقدية الباب واسعاً أمام التساؤل عن جدوى الكتابة اللسانية العربية باعتبار أنها - في الجملة - كتابة غير مستقلة بنظر، وغير مستوفية لجملة من شروط تطبيق نتائج الدرس اللساني الغربي على اللغة العربية، وتقع على قبة تلك الشروط:

- ✓ العلم بالخلفية الفلسفية الحاضنة للسانيات الغربية والمعطيات التاريخية التي لا بدت نشأتها.
- ✓ العلم بالجهاز المفاهيمي والجهاز المصطلحي للدرس اللساني الغربي.
- ✓ العلم بمحاذير الإسقاط الكلي غير الواعي لنواتج الدرس اللساني الغربي على الدرس اللساني العربي القديم.

من هذا المنطلق تبدو الحاجة ملحةً إلى استجلاء مكان من الخلل الكتابة اللسانية العربية المعاصرة في السياق العلمي الراهن وتميرها على محك النقد رجاء الإسهام في تقويم مسار الكتابة اللسانية العربية بمختلف أنواعها.

ولتحقيق هذه الغاية صيغت أسئلة المقال على النحو الآتي:

- كيف كان تلقي اللسانيين العرب الرواد للدرس اللساني الحديث؟
- ما اختلالات هذا التلقي؟ وما الأسباب الكامنة وراءها؟

- لماذا استمرت الكتابة اللسانية العربية تكرر أخطاءها برغم مرور مدة طويلة - نسبيا- على أول تلق للدرس اللساني الغربي؟

- ما هي المقترحات التي تكفل الوصول إلى كتابة لسانية عربية خالصة مستقلة بنظر وموجهة بمنهج صحيح ، ومدركة لآليات تطبيق مفرزات الدرس اللساني الغربي على اللغة العربية بما تتيحه قواعد الممارسة العليمة الصحيحة ؟

1- تاريخ التلقي وسيورته:

إذا رمنا التأريخ لبداية اتصال العرب بالحضارة الغربية زمانَ ما يعرف بالنهضة الأوروبية فإن الأمر ليس بالسهل، " والمرجح أن اتصال العرب بالثقافة الغربية، ضل محدودا ضئيلا حتى أواخر القرن الثالث عشر، ثم قوي إثر حملة نابليون على مصر عام 1798، وبعثات محمد علي (كانت ولايته من 1805 إلى 1848)، فانتشار مدارس الإرساليات التي أنشأها الغربيون في الولايات العثمانية، ولاسيما سورية وفلسطين ولبنان.

فاحتك العرب بالغربيين الذين أقاموا في بلادهم، وبالثقافة الغربية التي حملتها إليهم الكتب والصحف الأجنبية التي قرأوها في لغاتها الأجنبية أو مترجمة. "1 لقد وقع هذا الاتصال تحت ظروف سياسية واقتصادية وعسكرية مميزة عرفها العالم العربي في تلك الفترة جعلت منه محل أطماع أوروبا وجعلت فعل المثاقفة قسريا وفي اتجاه واحد، بحكم أن التبعية إنما تقع للمسيطر الأخذ بزمام الحضارة، وتبعاً لذلك بدأ فعل الكتابة عند العرب رافعا لشعار التيسير والتخفيف من حيث طريقة تقديم العلوم والمعارف، مستفيدا في ذلك من مناهج الغرب في التأليف وطريقة التبويب وما شابه. وتسمى الكتابة التي أخذت بمناهج التأليف والتيسير فيها دون المساس بموضوع العلم بمرحلة الكتابة النهضوية.

2- مرحلة الكتابة النهضوية²:

هي الكتابة التي رافقت بدايات تواصل العرب مع الحضارة الغربية الحديثة، أو ما يعرف ببداية التواصل مع النهضة الأوروبية الحديثة، في هذه المرحلة برز عدد من الكتاب شكلوا ما يسمى بجيل الرواد، وقد توزعوا بين سوريا ولبنان ومصر، و" يكاد يكون المتفق عليه عند المؤرخين أن أركان النهضة في سوريا ولبنان ثلاثة هم: الشيخ ناصيف اليازجي، وبطرس البستاني، وأحمد فارس الشدياق. ولكل من هؤلاء الثلاثة ميزة خاصة فيما أداه من خدمة للغة العربية وأدائها؛ فالشدياق كان زعيم الكتابة الأدبية والبحث اللغوي، ومن قلمه ظهرت الجوائب، وسر الليالي، والجاسوس على القاموس وخصائص اللغة، والساق على الساق، وغيرها، والبستاني حامل لواء الإصلاح العلمي والاجتماعي ... وأما اليازجي فقد امتاز بالصناعتين (الشعر والنثر) "3، أما في مصر، فمن أشهر الرواد رفاعة الطهطاوي الذي يعتبر قطبا من "أقطاب النهضة العلمية في مصر. عاش في نفس الحقبة التي عاش فيها الشيخ ناصيف اليازجي . فلم يكن بين ميلادهما غير سنة واحدة، كما انه لم يكن بين وفاتهما غير سنتين."4

ومما يميز هذه المرحلة من حيث الكتابة، هو كونها حاولت تجديد علوم اللغة كالنحو الصرف وسائر العلوم من حيث طبيعة تقديم المادة العملية للقارئ العربي، دون المساس بالمضامين التي درج النحاة من علماء

العرب على وضعها في كتبهم؛ فمن ذلك مثلا محاولة رفاة الطهطاوي تقريب قواعد اللغة العربية بأسلوب جديد في مؤلفه " التحفة المكتبية لتقريب قواعد اللغة العربية" ، وهي " محاولة لتبسيط قواعد اللغة العربية، وتيسير تعليمها، طبعت طبع حجر، في حياة المؤلف سنة 1869 م (1286هـ)"⁵، و لم يزد مجهوده فيه على تقريب قواعد اللغة العربية بأسلوب رآه مناسباً لزمانه، مستفيداً من المناخ الاجتماعي والفكري والسياسي السائد في ذلك الوقت، وكذا من معطيات الاتصال بالغرب، وذلك بعد رحلته إلى فرنسا التي دامت ثلاث سنوات⁶.

3- مرحلة الخطاب اللغوي المعاصر أو الحديث⁷:

تميزت الكتابة اللسانية العربية المعاصرة من حيث التصنيف بالغموض والضبابية؛ فلا هي كتابة لسانية مستقلة بجهازها المفهومي والاصطلاحي وبإجراءاتها التحليلية، ولا هي آخذة بالأدوات المنهجية التي وفرها النتاج اللساني التراثي منطلقة منها ومحاولة تطويرها داخل المنظومة المعرفية العربية ذاتها، ولا هي مقاربة له بأدوات الدرس اللساني الغربي مع مراعاة الخصوصية التاريخية والثقافية- سياق النشأة- للنتاج اللساني التراثي.

إنها باختصار تشكيل عصي على الفرز والتصنيف، مع أن أهدافها المعلنة هي تقريب الدرس اللساني الغربي للقارئ العربي بنوعيه المختص وغير المختص، أو تطبيقه على اللغة العربية بمستوياتها المعروفة أو قراءة التراث اللساني العربي من منظار لساني غربي، أو البحث على نظرية لسانية عربية خالصة موازية للنظرية اللسانية الغربية، وليس عسيرا بيان أن هذه الاختلالات مردها إلى اضطراب التلقي الأول للسانيات الغربية، وهو التلقي الذي يمكن القول- ابتداءً- إنه كان سطحيا ومتعجلا، غير أن الحكم عليه بالفشل فيه نوع مبالغة لأن الكتابة اللسانية العربية الموطئة جاءت في سياق اجتماعي، وثقافي يفرض ذلك، وقد عرفت هذه المرحلة بعض المحاولات لتبسيط لسانيات سوسير للقارئ العربي على اختلاف أنواعه واهتماماته، كما وجدت بعض الكتابات التي وظف فيه أصحابها أدوات البحث التي وفرها المنجز اللساني العربي على اللغة العربية بمستوياتها المختلفة خاصة ما تعلق بالمستوى الصوتي، مع ملاحظة الاختلال في تحديد المدونة؛ إذ كانت في الغالب مدونات عربية قديمة، في حين حاول فريق آخر وضع المنجز اللساني العربي اللغوي العربي في سياق المقارنة مع اللسانيات الغربية الحديثة، وقد ولدت هذه المقارنة جملة من الأحكام العامة على رأسها ادعاء طائفة من الباحثين أن لا حاجة للاسترفاد من اللسانيات الغربية بدعوى اكتفاء المنجز اللساني العربي القديم بما وفره من أدوات منهجية وإجراءات تحليلية، في حين انصرف فريق آخر نحو مقارنة المنجز اللساني العربي القديم بما وفرته اللسانيات الغربية الحديثة.

يمكن أن نوضح الأصناف الثلاثة التي ميزت هذه المرحلة بالمخطط الآتي:

أنواع الكتابة اللسانية المعاصرة

مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية	256	المجلد 06، العدد 01، مارس 2023م (253- 262)

كتابة مقارنة للتراث اللغوي
العربي بأدوات لسانية غربية

كتابة لسانية موطئة
للدروس اللسانية الغربية

كتابة لسانية مستثمرة

لمفرزات المنجز اللساني

الحديث على اللغة العربية

المخطط 1: أصناف الكتابة اللسانية المعاصرة

4- التأريخ للكتابة اللسانية المعاصرة:

يؤرخ النقاد اللسانيون العرب لبداية الكتابة اللسانية المعاصرة بمحاولة علي عبد الواحد وافي في مؤلفه "علم اللغة"، وقد وضع المؤلف نفسه ذلك في مقدمة طبعته الأولى لكتابه، يقول مبينا الحاجة إلى الكتابة عن علم اللغة الحديث: "لم يكتب فيه باللغة العربية - على ما أعلم - مؤلف يعتقد به، اللهم إلا بعض كتب قديمة، تمثل هذه البحوث في أدوار طفولتها الأولى، بل في أدوارها السابقة للطفولة، ولا تكاد اليوم - وقد أيفع هذه العلم- تنفع من صدى أو تسمن من جوع.

حيال هذا رأيت أن الواجب يحتم علي- وقد وقفت قسطا من جهودي على هذا العلم، وقمت بتدريسه مدة طويلة- أن أقوم بأول محاولة في هذا السبيل، فكتبت هذه العجالة، معتمدا فيها على طائفة كبيرة من أوثق المصادر العربية والإفريقية، التي يرى القارئ بعضها مشارا إليه في ثنايا تعليقاتنا و بعضها مدون في ثبوت المراجع في آخر الكتاب"⁸.

والملاحظ على هذه الكتابة التي مثلنا لها بكتاب عبد الواحد وافي أنها لم تستطع أن تجلي "الخريطة المعقدة للمدارس اللسانية؛ وكانت كتب الرواد التي وصلتنا ببعض هذه المدارس حجابا بين جيلنا وسائر المدارس اللسانية الأخرى. وهكذا انطلق كثير من أبناء هذا الجيل المنقطع عن اللسانيات الجديدة في مصادرها الأصلية يرصعون في ثقة واثقة أغلفة كتبهم بعنوانات من قبيل: ((كذا في ضوء علم اللغة الحديث))، حتى إذا فتشت في أكثرها لم تجد إلا طائفة من المقولات تلقاها أصحابها بالقبول، وعدوها مسلمات أو مصادرات علمية لا تقبل الجدل لانتمائها إلى ما يسمى علم اللغة الحديث، على حين أن جمهورتها من الخلافات المتنازع عليها بين المذاهب اللسانية المختلفة"⁹.

إنها كتابات متسعة استعجلت تطبيق مفردات الدرس اللساني الغربي على مدونات تراثية، مناقضة بذلك مبدأ مهما من مبادئ الدرس اللساني السويسري الذي يقوم على مبدأ الآنية. لقد كان هذا التوجه نحو قبول المنجز اللساني الغربي دون تمحيص أو تهيئة، أو دراسة لإمكانية إرفاد الدرس العربي بإجراءاته، وأدواته، ودون ضبط تام لماهيته ومكوناته، السبب الذي ولّد جملة الاختلالات التي رُصدت من قبل عديد اللسانيين المختصين في نقد الكتابة اللسانية العربية.

5- كتابات وجهود في نقد التلقي:

مع تطور الكتابة اللسانية العربية واتساعها، ووجود منابر لسانية تُعنى بالبحث اللساني الغربي مختلف المشارب والأصول، ظهرت هنا وهناك محاولات نقدية كثيرة، حاولت تتبع الكتابة اللسانية العربية المعاصرة من بدايات التواصل الموسوم بكونه محاولة تقريب وتبسيط الدرس اللساني الغربي، إلى محاولة الاستقلال بالدرس اللساني العربي تنظيراً وممارسة.

هذه المحاولات النقدية التي تغيت تقويم الكتابة اللسانية العربية، عرفت هي الأخرى جملة من المشاكل على رأسها غياب التنسيق، وعدم انخراطها في عمل مؤسساتي منظم.

وقد حاولت هذه "القراءة النقدية من خلال المراجعات اللسانية المتعددة، تقويم ما أنجز في هذا المجال، ولنا أن نذكر في هذا السياق بعض الدراسات التي انطلق منها البحث لتقويم المنجز اللساني...وعدها نقطة الارتكاز، و المؤطر المنهجي والمعرفي، ومن ذلك دراسات مصطفى غلفان، وسعد مصلوح، و حافيظ إسماعيلي، و أحمد الملاح، وعطا محمد موسى.¹⁰، والمتتبع للكتابة النقدية العربية للممارسة اللسانية العربية يجدها قد انقسمت أقساماً ثلاثة هي:

- كتابة نقدية عامة: موضوعها الكتابة اللسانية العربية بشكل شمولي.

- كتابة نقدية خاصة: تتجه صوب أحد الاتجاهات اللسانية، أو احد اللسانيين؛ ويلاحظ على هذين النوعين من الكتابة النقدية غياب مساطر واضحة في التقويم النقدي.

- كتابة نقدية مؤسسة: تروم إعمال النظر في الكتابة اللسانية العربية، ونقدها وتقويمها، بالاستناد إلى أسس نقدية واضحة المعالم¹¹.

والحديث عن المجهود النقدي لكثير من اللسانيين العرب، وتوجههم نحو مفاتشة وتمحيص الكتابة اللسانية العربية، يقود حتماً إلى توضيح بعض عوائق الكتابة اللسانية العربية، التي زادت من حدة الاختلالات المرصودة في الكتابة اللسانية العربية.

6- عوائق واختلالات في طريق الكتابة اللسانية العربية:

من الواضح جدا عند النظر في الكتابة اللسانية العربية المعاصرة، ملاحظة البون الشاسع بينها وبين الكتابة اللسانية الغربية - وتلك ملاحظة لها مبرراتها التاريخية والمعرفية والاجتماعية-؛ ذلك أن " اللسانيات في ثقافتنا تكرر الأسئلة نفسها، وتطرح القضايا نفسها، ومازالت بعض أبجديات هذا العلم مغلوبة، أو شبه مغلوبة في سوق التداول، وهذا ما يجعل الحصيلة ضعيفة مقارنة بما ينجز في الغرب، إنها ماتزال في طور الاستهلاك الثقافي، والمعرفي وما يزال الإنشاء والإنتاج اللساني لا يغادر منزلة المقدمات والكتب التمهيدية"¹²، وقد حالت كثير من العوائق دون الوصول إلى كتابة لسانية مستقلة موضوعاً ومنهجاً، يأتي على رأسها:

-عدم تيسر الاطلاع الكامل على علوم اللسانيات المختلفة في العصر الحديث ما جعل الكتابة اللسانية

العربية الموطئة سطحية.

-انحصار كثيرٍ من الكتابات اللسانية الموطئة في حقل الصوتيات دون غيرها من مجالات اللغة، وإن كان البحث في الصوتيات عند الغربيين سمة بارزة للدرس اللساني الغربي في بداياته؛ ما يعطي للكتابة اللسانية العربية الموطئة شيئاً من المبررات التي وجهت البحث نحو الجانب الصوتي.¹³

-غياب الإرادة السياسية: لم نجد في الدول العربية إرادة سياسية واضحة، نحو تلقي الدرس الغربي بعامة واللساني بخاصة، تلقياً ينبئ عن إدراك تام لأهمية هذا التلقي، وحسن التعامل معه، فالدول العربية عموماً تعرف تصارعاً واضحاً في سياستها العامة، وهو التصارع الذي ألقى بضلاله على السياسة اللغوية للدول العربية.

وحتى المحاولات القليلة لتوحيد الصف، كانت مهلهلة وغير جادة؛ فكثير من الاجتماعات واللقاءات انتهت إلى فشل ذريع، وما أمر المجامع اللغوية عنا ببعيد.

إن غياب الاهتمام باللسانيات على المستوى السياسي أدى إلى " انعدام الفكر اللساني في وطننا العربي. ومعلوم أن المعيار الاجتماعي في سبر إشعاع الظاهر العلمية هو أن تتحول إلى معطى ثقافي وواقع معرفي يتقاسمه المتطلعون فكرياً مهما تباينت شرائح الانتماء لديهم اختصاصاً وثقافة".¹⁴، ويحيلنا هذا على دور المؤسسات، التي تستمد قوتها ووجودها من قرارات سياسية جادة ونافذة، مثل مجامع اللغة العربية؛ فالحلول التي تقدم للرقى بالكتابة اللسانية العربية لا بد أن تكون " جماعية، لأن الزمن زمن المؤسسات والمراكز، لذلك ينبغي أن تتجه الأنظار إلى إنشاء تلك الجمعية المقترحة لوضع الحلول العامة بعد مؤازرة من أهل الاختصاص"¹⁵، ويفرض هذا الأمر وجود تنسيق تام بين اللسانيين العرب، رجاء النهوض بالكتابة اللسانية العربية على اختلاف مواضعها ومناهجها.

-مشاكل الترجمة و المصطلح: يضطلع المصطلح بدور مهم في تبيان تلقي الكتابة اللسانية الغربية، ويعد - بحق - المفتاح الرئيس الذي يمكن أن نفتح به أبواب الدرس اللساني الغربي، وأن نلج عوالمه من الطريق الصحيح، وقد " ظهر منذ عقدين ونيف في الدراسات المتعلقة باللسانيات التعبير عن وجود أزمة في المصطلح اللساني مفردة أو ضمن أزمت أخرى. أو الإشارة إلى المصطلح على أنه عقبة من عقبات تلقي اللسانيات، أو وصفه بأنه مشكلة من مشكلات متعددة تتعلق باللسانيات عندنا".¹⁶ وقد استباننا من غير وجه الأهمية الكبيرة لتوحيد صناعة المصطلح في العالم العربي تمهيداً بذلك، لكتابة لسانية عربية واعية وجادة، أما في حال استمرار الحال على ما هو عليه، فإن الخرق سيتسع على الراقع - كما يقولون- ولعل من أبرز شواهد ذلك اختلاف اللسانيين العرب، في وضع مصطلح واحد لعلم اللسانيات، وقد وصلت ترجماتهم ثلاثة وعشرين مصطلحاً كلها تدل على مسعى واحد وهو اللسانيات!¹⁷، إن الواقع اللساني الذي نعيش يظهر أن أزمة "المصطلح العربي عامة واللساني بوجه خاص، مازالت قائمة، وأن ليس في الأفق القريب ما يدل على انحصارها أو التخفيف من حدتها".¹⁸

7- مكان الخلل في الكتابة اللسانية المعاصرة من خلال الكتابات النقدية :

جلت بعض الجهود النقدية للكتابة اللسانية العربية كثيراً من الاختلالات التي ميزت الكتابة اللسانية العربية، التي أدرجتها في خانة الكتابات غير المجدية، و"الملاحظة الأولى التي تتبدى للمتتبع هي أن وجود تراكم من

الدراسات والمؤلفات اللغوية التي تعج بها الثقافة العربية الحديثة لا يفرز عند التمهيص النظري، والفحص المنهجي، إلا حالات نادرة مما يستحق فعلاً أن يندرج في إطار البحث اللساني بالمعنى العلمي الدقيق.¹⁹، ومع أن الكتابة اللسانية العربية قد قطعت "أشواطاً مهمة في توطين المعرفة اللسانية في مشهدنا الثقافي العربي وفي مؤسساتنا الجامعية، لكن بعض العوائق و الاختلالات الاستمولوجية و الميتودولوجية والمؤسسية المرتبطة بالممارسة اللسانية العربية ماتزال قائمة إلى اليوم."²⁰، وفي هذا السياق يمكن أن نقدم الاختلالات المرصودة على نحو مختصر كما يلي:

أ- في الكتابات التمهيدية لوحظت الاختلالات التالية:

- الارتباك في تحديد مجال الدرس اللساني وعمومية البحث .
- غياب العمل بتقنيات التحليل اللساني .
- تخلف الركب عن مسيرة اللسانيات الغربية والعجز عن مواكبتها²¹، وهو الأمر الذي وسم الكتابة التمهيدية بطابع " التكرار دون أخذ بعين الاعتبار التطور المتواصل لهاذ العلم، ونقف [هنا] على نقد واضح لرواد اللسانيات العربية الذين رسخوا في أذهان جيل بأسره مسلمات عديدة من قبيل أن علم اللغة هو واحد دون الوعي بأن هذا العلم يتطور باستمرار."²²

ب- في الكتابة اللسانية المعاصرة، لوحظت الاختلالات التالية:

- الخلط بين المسميات والمجالات فاللسانيات العربية ولسانيات العربية ولسانيات التراث شيء واحد في كثير من الكتابات اللسانية العربية، وهنا ينبغي التفريق "ببم ما يمكن تسميته بلسانيات العربية ولسانيات العربية فالأولى تهدف إلى الاشتغال باللغة العربية ووصفها في نسقها القديم أو نسقها الحديث أو نسقها الوسيط و كذلك العمل على الفكر المتصل بهذه اللغة . ولسانيات العربية لا تتحدد باللغة المكتوب بها؛ إذ يمكن أن تكون لغة غير العربية، بقدر ما تتحدد باللغة موضوع الوصف، أما اللسانيات العربية فهي ذات مجال مختلف وأوسع إذ يمن أن تشمل ما هو مكتوب من اللسانيات الأجنبية."²³
- التحول غير المبرر من تيار لساني إلى آخر، فكثيراً ما نجد الباحثين العرب، يطلقون أحكاماً عامة بأن عهد هذا التيار اللساني أو ذاك قد ولى؛ وذلك بسبب ظهور مناهج وتيارات لسانية غربية جديدة، وهو ما يدل على الارتجالية التي تطبع أعمال كثير من اللسانيين العرب.
- الاضطراب المنهجي في الكتابة اللسانية العربية؛ ذلك أن الكتابة اللسانية العربية لم تستقر على "خط نظري واحد. فقد يعرض اللساني العربي بالدرس والتحليل لقضية معينة من وجهة لسانية يتبع فيها أحدث النظريات اللسانية لكنه سرعان ما يتبنى في قضية أخرى موقفاً تقليدياً يعيد فيه ما قاله القدماء وربما بكيفية أقل توفيقاً. وقد يحصل الانتقال من موقف إلى آخر في ثنايا الدراسة الواحدة"²⁴
- دراسة الباحثين العرب للموروث اللغوي العربي بأدوات غربية خالصة، دون مراعاة لخصوصيته الثقافية والفكرية التي نشأ فيها.

8- الحلول والاقتراحات:

بعد هذه العرض الموجز لاختلالات وعوائق الكتابة اللسانية العربية، تبدو الحاجة ملحة إلى وضع حلول فعالة، مبنية على معرفة تامة بواقع الكتابة اللسانية العربية، وإنفاذاً لذلك نقترح جملة من الحلول، يمكن صباغتها على النحو الآتي:

- ضرورة توحيد الجهود وتجنب العشوائية في الكتابات اللسانية العربية.
- توحيد أعمال المنظمات والهيئات التي تُعنى باللسانيات وتفعيل دور المجامع اللغوية.
- العمل على وضع تصورات صحيحة عن مجالات الكتابات اللسانية العربية، واعتماد معايير منهجية، وموضوعية تفرق بين أنواع الكتابات الثلاث وهي:

أ- اللسانيات العربية

ب- لسانيات العربية

ج- لسانيات التراث

- إنشاء هيئات أو منظمات لقراءة الكتابة اللسانية العربية، من أجل رصد الاختلالات وتقويمها.
- العمل على توحيد المصطلحات اللسانية رجاء توحيد الكتابة اللسانية ذاتها؛ وذلك بالنظر لأهمية المصطلح اللساني في تقديم المنجز اللساني الغربي و التوطئة له.
- تلك بعض الاقتراحات، ولاشك أن الموضوع أوسع من أن يُوفى حقه في مقال واحد.

الخاتمة:

لقد بان لنا من خلال ما قدم أن الكتابة اللسانية العربية المعاصرة تعاني كثيراً من الاختلالات مردها عند التحقيق إلى غياب التنسيق من جهة، و إلى عدم استواء المفاهيم النظرية والأدوات الإجرائية لدى كثير من الباحثين العرب، كما أن الكتابة التمهيدية قد كان لها أثر بالغ في توجيه الكتابة اللسانية العربية لمدة طويلة، ولذلك وجب على المهتمين بالشأن اللساني في العالم العربي أن يسهموا في إصلاح الأوضاع باعتماد بحث لساني عربي يفرق بين مجالات البحث، معتمداً معايير الموضوع والمنهج والغاية سبيلاً لتحقيق الأهداف المسطرة.

الهوامش:

¹ - نازك سابا يارد، الرحالون العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة، الناشر نوفل، ط1992، 2، ص8

² - ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، سلسلة رسائل وأطروحات رقم: 04، كلية الآداب واللغات، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، ص80

³ - إيناس المقدسي، الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط6، 2000م، ص55

⁴ - السابق، ص108

⁵ - محمد عمارة، الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوي، دار الشروق، مصر، دط، 2011، ص105

⁶ - ينظر: كامل محمود الديلمي، أساليب تدريس اللغة العربية، دار المناهج، عمان، دط، 2003، ص57.

- 7- ينظر: اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، مرجع سابق، ص 84
- 8- علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، نهضة مصر للطباعة و النشر، مصر، ط 2004، 9 ص 5/4.
- 9- سعد عبد العزيز مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة: دراسات ومناقشات، عالم الكتب، القاهرة ط 2004، 1، ص 22
- 10- نعمان عبد الحميد بوقرة، اتجاهات الدراسات اللسانية الحديثة في المملكة العربية السعودية دراسة وصفية تحليلية، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد 9، العدد 2013، 1، ص 242.
- 11- حافظ إسماعيل علوي و أمجد الملائخ، قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، منشورات دار الاختلاف، الجزائر، ط 2009، 1، ص 187
- 12- حافظ إسماعيل علوي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 2009، 1، ص 13
- 13- عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، 1986، ص 13.
- 14- اللسانيات وأسسها المعرفية، مرجع سابق، ص 12
- 15- أحمد قدور، اللسانيات والمصطلح، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، م 81، ج 4، دط، دت، ص 12.
- 16- نفسه، ص 6.
- 17- ينظر: السابق، ص 8
- 18- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية، أسئلة المنهج، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، الأردن، ط 1، 2013، ص 41.
- 19- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 04، جامعة كلية الآداب واللغات، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، ص 10
- 20- حافظ إسماعيل علوي، في تقويم البحث اللساني المعاصر، كتابات سعد مصلوح أنموذجا، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، المجلد 9، العدد 2016، 1، ص 938/937
- 21- ينظر: قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، مرجع سابق، ص 275/274
- 22- في تقويم البحث اللساني المعاصر، كتابات سعد مصلوح أنموذجا، مرجع سابق، ص 941.
- 23- اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، مرجع سابق، ص 34/33
- 24- نفسه، ص 86.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- أحمد قدور، اللسانيات والمصطلح، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، م 81، ج 4، دط، دت.
- 2- إيناس المقدسي، الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط 6، 2000م.
- 3- حافظ إسماعيل علوي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1.
- 4- حافظ إسماعيل علوي، في تقويم البحث اللساني المعاصر، كتابات سعد مصلوح أنموذجا، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية.
- 5- حافظ إسماعيل علوي و أمجد الملائخ، قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، منشورات دار الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2009.
- 6- سعد عبد العزيز مصلوح، في اللسانيات العربية المعاصرة: دراسات ومناقشات، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 2014م.
- 7- عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، 1986.
- 8- علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، نهضة مصر للطباعة و النشر، مصر، ط 9، 2004م.
- 9- كامل محمود الديلي، أساليب تدريس اللغة العربية، دار المناهج، عمان، دط، 2003.
- 10- محمد عمارة، الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوي، دار الشروق، مصر، دط، 2011.
- 11- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 04، جامعة كلية الآداب واللغات، جامعة الحسن الثاني، عين الشق.
- 12- نازك سبابا يارد، الرحالون العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة، الناشر نوفل، ط 2، 1992م.
- 13- نعمان عبد الحميد بوقرة، اتجاهات الدراسات اللسانية الحديثة في المملكة العربية السعودية دراسة وصفية تحليلية، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد 9، العدد 2013، 1، ص 242.